

التربية الجنسية في محيط الأسرة

د. لطيفة الكندري

مستشارة المركز شبه الإقليمي للطفولة والأمومة

ورئيس فريق منتدى الحوار التنموي في مكتب الإنماء الاجتماعي

الموقع الإلكتروني: www.latefah.net

الأستاذة الفاضلة ميسون يحيى

تحية طيبة وبعد

فإنني أبعث إليكم المادة العلمية الخاصة بموضوع المحلة وآمل أن تحوز على رضاكم.

مع تمنياتي لكم بالتوفيق.

1. هل تؤيدون مناقشة الأهل أبناءهم المراهقين في موضوع الجنس، وإلى أي حد يمكن أن

يكون النقاش مثمرا؟

نعم أؤيد ذلك، لأن التربية الجنسية من المواضيع الحساسة والهامة في حياة النشء والمراهقين، ويقصد بالتربية الجنسية تزويد المتعلم بالمعلومات الصحيحة والمهارات الحياتية اللازمة من أجل حياة جنسية سليمة. إن مناقشة هذا الموضوع الهام يعمل على توفير الصحة النفسية ثم تعزيز الضبط الاجتماعي في محيط الأسرة. تحتاج الأسرة إلى أن تراعي الجانب الوقائي وهو تهيئة الأبناء والبنات للتعامل مع حقائق ومفاهيم التربية الجنسية لإيجاد الحصانة والعفة مع الاهتمام بالجانب العلاجي وهو تعديل المفاهيم الخاطئة عند الأبناء ومساعدتهم في حل المشكلات المتعلقة بالطاقة الجنسية. هناك جملة من الخطوات يمكن إتباعها كي يكون النقاش حول التربية الجنسية مثمرا مع الأبناء والمراهقين منها:

- معرفة خصائص المرحلة العمرية للطفل لأنها تساعد على انتقاء العبارات المناسبة لعمر وعقل الطفل.
- المصادقية وتجنب الكذب على الطفل عندما يسأل عن بعض الأمور الجنسية. لا بد من الإجابة عن أسئلة الطفل بشكل مبسط وصریح وموائم مع عمر الطفل وقدراته الذهنية دون التكلف أو التهويل من طرح الأسئلة الجنسية. وقد يكون الطفل شاهد بعض المواقف في التلفاز أو غيره كأن يرى ما يحدث في غرفة الولادة في المستشفى لذلك علينا التأكد قبل الإجابة عن سؤاله - من أين عرف المعلومات التي يتحدث عنها، ولماذا يسأل.

- الاستماع الإيجابي للطفل وعدم مقاطعته بأن هذه المواضيع كبيرة عليه لأنه قد يحتاج إلى فهم معاني معينة أو حل مشكلة جنسية, وضرورة الالتزام في الإجابات بحدود السؤال وعدم تعقيد الطفل.
- استخدام بعض الرسومات التوضيحية إذا كان الشاب أو الفتاة في مرحلة المراهقة وخاصة المواضيع المتعلقة بالطمث والبلوغ وتغير أعضاء الجسم ونموها.
- معالجة المشكلات الجنسية الخاصة عبر الجلسات الثنائية كي تكون المصارحة واحة الصدق والتلاحم والشعور بالأمان.
- مناقشة بعض القصص والأحداث الجارية المتعلقة بالتحرش الجنسي مما تنشر في الجلات والجرائد بغرض استنباط العبر والعظات إذ تطلب الأمر.

2 . في مجتمعاتنا المحافظة يرى الكثير من الأهل أن الخوض في هذا الموضوع ضرب من العيب إلى أي مدى تصح هذه الرؤية؟ وهل من سبيل إلى تنوير الأبناء بهذا الموضوع بطريقة يتعامل معها الجميع بإيجابية وانفتاح؟

تحتل التربية الجنسية في مجتمعاتنا المحافظة مرتبة ثانوية ولا يوجد منهج دراسي خاص يهتم بهذا الموضوع في مؤسساتنا التعليمية بصورة تفصيلية بل تتناثر مواضيع التربية الجنسية في بعض المناهج وخاصة في منهج التربية الإسلامية والعلوم. ولقد ولد هذا الكبت المتراكم بعضه فوق بعض وعدم الخوض في تلك المواضيع الكثير من الانحرافات الجنسية. إن المطلع على تعاليم الإسلام يدرك أنه لا حياء في الدين وأن سلفنا الصالح استعرض مسائل جنسية في غاية الدقة وشرحوا عملية الجماع بعبارات لا تنقصها الصراحة وهو الأمر الذي ينبغي أن نسير عليه ونفرد له دراسات مستقلة. إن الجنس موضوع شبه مغيب وقد يصل إلى درجة الممنوع المحرم (التابو) عند البعض وأصبح التعبير عن الغريزة الجنسية (فويا) في المحيط الاجتماعي.

إن الناظر في مواقع الاستشارات التربوية يرى أن المشاكل والانحرافات المتعلقة بالجنس لها نصيب كبير في تلك الاستشارات وذلك لأن السؤال عبر الانترنت لا يحتاج إلى المواجهة بل يمكن للسائل أن يتوارى عن المستشار تحت أسماء مستعارة. ونلمح من ذلك أهمية الخوض بالتربية الجنسية في محيط الأسرة والمدرسة لكي نجنب فلذات الأكباد من الأمراض والانحراف والتحرش الجنسي ... من خلال خبرتي في ميدان الاستشارات فإنني أؤكد بأن الأمية الجنسية ظاهرة منتشرة وأقصد بالأمية الجنسية الجهل بأبسط مفاهيم الجنس المتعلقة بالجماع والطمث والبيكاره والاستمناء بل الثقة العمياء بالخدمة أو السائق أو البائع أدت إلى الكثير من الانحرافات الجنسية. من أسباب انتشار مثل الأمية الجنسية قلة تداول هذا الموضوع والخوف من الحديث عنه مما

يتطلب تكثيف الدورات التدريبية والتوعوية وتفعيل القوانين الخاصة برعاية الطفل رعاية كريمة بعيدة عن الإيذاء والاستغلال الجنسي.

وفيما يلي إشارة إلى سبل تنوير الأبناء والبنات لتنمية ثقافتهم الجنسية أسرياً:

1. فتح باب الحوار الفعال مع الأبناء والإجابة عن أسئلتهم المخرجة وإشعارهم بأن الوالدين والمعلمين هم المصدر الأساسي لحل مشاكله الجنسية.
2. تزويدهم بالمعلومات العلمية الصحيحة والحذر من المعلومات المبنية على المبالغة.
3. توليد الثقة والدعم النفسي لهم للتعبير عن معاناتهم الجنسية والإفصاح عن أسئلتهم المحيرة.
4. تدريبهم على الامتناع عن استخدام المصادر المعرفية الضارة (المجلات الجنسية - الأفلام الهابطة - رفاق السوء).
5. تعويدهم على آداب الاستئذان.
6. عدم ضرب الأطفال الصغار إذا قاموا بلمس أعضائهم التناسلية فهذا يحدث أحياناً بصورة عفوية لاستكشاف الجسد.

3 إذا اعتبرنا جازمين أن الحديث في هذا الموضوع لازم وضروري فما هو سن الأبناء

المناسب الذي يستطيعون فيه استيعاب الأمر بصورته الصحيحة؟

يمكن الحديث عن موضوع الثقافة الجنسية مع الأبناء منذ نعومة أظفارهم ولكن جرعاتها تختلف من مرحلة إلى أخرى. يدخل الطفل في عالم الجنس منذ السنة الثالثة تقريباً ويبدأ بالتعرف على أعضائه التناسلية فيتلمسها. وقد تكثر أسئلة الطفل حول موضوع الجنس وخاصة في معرفة الفرق بين أعضاء الذكر والأنثى، ومن أين جاء المولود الجديد؟ وكيف ولد؟ وكلما كبر الطفل زادت أسئلته الجنسية وأراد الإيضاح بشكل أكبر. من الأمور الخطرة أن الطفل في مرحلة الروضة قد يقلد مناظر جنسية شاهدها أمامه أو في التلفاز فهذا يجب تعويده على مشاهدة الأمور النافعة وتجنب اللقطات الهابطة. إن متابعة الأبناء تعني القرب من واقعهم وهذه قضية في غاية الأهمية ولقد جاءتني أم طلبا للمشورة وكانت مشكلتها أنها اكتشفت من ولدها أن الخادمة في المدرسة تقوم باللعب في أعضائه التناسلية ولأن الأم اكتشفت الأمر مبكراً فإن الأضرار النفسية لم تكن كبيرة.

من المؤسف حقاً أن نصرف كل انتباهنا لمتابعة التحصيل الدراسي لأبنائنا ثم نغفل عن حياتهم الشخصية ونموهم الجسدي وأحوالهم الخاصة مع زملائهم. إننا نسأل الطفل عن درجاته وواجباته المدرسية فور رجوعه منها وقد لا نسأل عن يومه وأنشطته الاجتماعية.

4 في ظل الفضاء المفتوح وغزو المعلومات والمواقع الجنسية بيوتنا من خلال شبكة

الانترنت هل تجددين أن الحديث في موضوع الجنس سيكون غير ضروري أم أنه بات

أكثر إلحاحا من ذي قبل؟

أعتقد أن موضوع التربية الجنسية ضروري في كل الأزمنة فلا يوجد زمن إلا وله مشكلاته الجنسية وقد تختلف من عصر إلى آخر. لقد أصبحت الثورة التكنولوجية تدخل كل بيت وظهرت شريحة غير قليلة من الشباب والفتيات تلجأ إلى الانترنت كوسيلة جديدة لإنشاء علاقات غير مشروعة مع الجنس الآخر، أو رؤية بعض الصور والأفلام الإباحية ونشرها في أجهزة الهاتف النقال عبر البلوتوث. فمن الأهمية بمكان الاهتمام بتوعية الشاب والفتاة بقواعد استخدام شبكات الانترنت، والقنوات الفضائية والهواتف النقالة في الترفيه المباح والأمور النافعة.

5- كونك مستشارة في المركز شبه الإقليمي للطفولة والأمومة هل تأتيك أسئلة خاصة بالتربية

الجنسية في محيط الأسرة؟

نعم هناك أسئلة عديدة تخص التربية الجنسية في مختلف الأعمار ولكن غالبا تكون الأسئلة من هذا الصنف عبر الهاتف أو عن طريق رسائل الإيميل وأعتقد أن الحرص على الخصوصيات تجعل معظم الرسائل والمكالمات تحت أسماء وهمية أو رمزية. ومن الأسئلة التي أجبت عنها عبر الإيميل السؤال التالي:

سؤال: الدكتورة الفاضلة لطيفة الكندري ... أرسل لك هذه الرسالة ولقد كرهت زوجي الذي تغير سلوكه تجاهي حيث كانت معاملته لي جيدة عندما تزوجنا ثم بدأ يعاملني معاملة مختلفة جدا حتى كرهت ممارسة الحياة الجنسية التي يريد بها باستمرار ... أنا سعيدة مع ابني الجميل فماذا أفعل وكيف أجعل حياتي الجنسية ناجحة؟

ابنتي العزيزة زادك الله حبا في ولدك، وقربا من قلب زوجك.

مشكلتك هي مشكلة شائعة وشائكة فاصبري واحتسبي وأصلحي فالحياة إصرار على الإصلاح وإلا فلا طعم للحياة كلها.

ها أنت تكتبين إلي للمرة الثانية وقلبي معك ، ودعائي لك، وإليك بعض الإرشادات إضافة لما سبق أن قلت لك في الرسالة السابقة.

شرحت موضوعك في رسالتين وجعلت الزوج - فقط- أساس المشكلة وأنا أقول: قد تكون الحقيقة عندك ناقصة من دون قصد منك مع احترامي الشديد لشخصك الكريم. إن الحياة الزوجية اندماج اجتماعي قوي، ونسيج نفسي واسع لا يضعف إلا بفتور الطرفين في الغالب وهو ناتج من الإخلال بوظيفة أساسية أو أكثر.

قد يعاني زوجك من غلظة في المزاج، وجفوة في الطباع لأنه يفكر بنفسه فقط ولكن الحل لا يكون أبداً بأن تكرهينه. كل المتزوجين يمرون بمرحلة الفتور بل الجفوة خاصة في السنوات الأولى من الزواج ويختل الميزان في بعض الأحيان.

مشكلتك أن زوجك يجب أمراً أحله الله لكما معا ويتناغم مع الغريزة الطبيعية ولكنه لم يوفق إلى الموازنة فلماذا تنظرين للأمر كله بمنظار قائم ولم لا تستعينين بالحب بمعناه الرحب في تهذيب أفكاره، وعباراته، وأسلوب تعامله معك.

إن تجارب الحياة علمتني أن من الناس من يسرف في الأكل أو الجماع أو... ويعاني من ذلك زمنا طويلا ثم يدرك أنه لا بد من ترويض النفس على الاعتدال في التمتع بالنعم. ورغم أن الناس يدركون مخاطر الإسراف ومهالك التماذي في الأكل والشرب والجماع إلا أن نسبة كبيرة لا تهتدي لطريق التوسط. فلا تستغربي من طبع زوجك وجاهدي في إرشاده إلى الاعتدال في كل حال.

ابنتي العزيزة إن المرأة العاقلة تستطيع أن تغير الزوج عندما تغير من نفسها، وتشاركة في إسعاد الأسرة فلا تتنازلي أبداً عن هذه الفكرة وكلما اشتدت الحن من حولك ازدادي قناعة بهذا المبدأ فالمسلم لا يستسلم لليأس أبداً بل يسعى في إصلاح النفس والناس ولا شك أن الكراهية بين الزوجين بداية خسارة ونذير انحسار.

إن السعادة يا ابنتي -بحمد الله ورحمته- في قلبك لا في يد أب أو أم أو زوج أو جاه أو شهادة فاعتنمي كل لحظة للتمتع بما فإن التحديات لا تتوقف. لا بد من مد يد العون لكل من حولك لتوسعي نطاق السعادة في أرجاء دارك. وزوجك إن كرهت منه شيئا فستعجبك منه أشياء فكوني بصيرة عادلة وموضوعية.

الأمل في الإصلاح خير زاد لمشوار الزواج. وإنني أقترح عليك أن تهتمي بمطالب زوجك الجنسية بما يتوافق مع رغبتكما معا فمن الممكن أن زوجك يبالغ في الجنس فيجب الموازنة وقد تكونين أنت مقصرة في تنمية هذا الجانب فعليك بالموازنة ولعل الأمر بحاجة إلى جلسات مصارحة لتحديد الاحتياجات.

أود أن أقدم لكما خلاصة خطوات وآليات قد تنظم حياتكما الجنسية فاقبسي بعض الأفكار التي ربما تناسبكما:

1- يمكن ممارسة الجنس كعادة مملّة تضعف علاقاتنا ويمكن ممارستها كمتعة متجددة للطرفين وبداية الزواج حلوة لأن الحياة الجنسية لم تصبح عادة رتيبة أو وظيفة لازمة. والمطلوب الحذر من تحويل حياتنا إلى عادات روتينية جامدة لا تسعد الفؤاد ولا تنعش الجسد. لا بد من تحصيل أكبر قدر من اللذة للطرفين جنسيا وهذا يحتاج للتجديد دائما والاعتقاد بأن الحياة الجنسية هامة

- في سعادتنا الزوجية مع التذكير بأن هناك لذة دائمة للحب، وللكلمة الجميلة، واللمسة الحانية والمداعبة اللطيفة فالجنس لا يقتصر على الجسد فقط.
- 2- الخجل مطلوب والحياء سعادة ولكن هذا لا يعني أن الزوجة لا تبين للزوج الطرق التي تزيد من سعادتها وتضاعف لذتها في ممارسة الجنس.
- 3- المتعة الجنسية لا تكون في الفراش فقط بل نستطيع بعيدا عن أنظار الأبناء والبنات أن نداعب أزواجنا باللمسة والقبلة والكلمات الذكية فيتغير مفهوم الجنس المرتبط بالجماع فقط فتتوسع وتنوع الحياة بأطيايف من الأطايب.
- 4- الانفتاح على التجارب الجنسية الناجحة لتحقيق الاعتدال والإطلاع على الإصدارات السمعية والبصرية في هذا الباب.
- 5- الاعتناء بالملبس والتفنن في التزين في الفراش والمنزل. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : إِنِّي لِأُحِبُّ أَنْ أَتَزَيَّنَ لِلْمَرْأَةِ ، كَمَا أُحِبُّ أَنْ تَتَزَيَّنَ لِي ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : { وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ } . وَقَالَ أَبُو يُوسُفَ : يُعْجِبُنِي أَنْ تَتَزَيَّنَ لِي امْرَأَتِي ، كَمَا يُعْجِبُهَا أَنْ أَتَزَيَّنَ لَهَا.
- 6- الرسائل القصيرة المؤدبة عبر الهاتف النقال أو الهدايا المفاجئة قد ترقق الذوق وتعطي راحة نفسية واشتياق للزوجين وهما في حضم أعباء الروتين اليومي.
- 7- الأفكار الإبداعية لا يمكن حصرها فلاستمتاع بالورد، أو العطر الجميل ، وأكل بعض الفاكهة والتفنن في تذوق العصائر في المساء بقرب السرير ، وقراءة الشعر اللاهب، وسماع الموسيقى الرومانسية، وتغيير ديكورات غرفة النوم... يمكن أن تصاحب حياتنا الجنسية وتثريها بطريقة أو بأخرى.
- 8- راجعي ذكرياتك الزوجية السابقة وادرسها بأمانة وغيري من نفسك واطلعي على التجارب الزوجية في المجالات المعنية بهذا المجال فالثقافة قوة، والمعرفة غذاء.
- 9- اجعلي الزوج يشارك أكثر في متابعة وتربية ابنك فالفراغ ، وغياب الأهداف من أسباب ضعف عطاء الإنسان فيوجه طاقاته نحو الجنس حتى يستولي على حسه وكيانه ووقته.
- يا ابنتي الحبيبة حولي تعاسة الحياة الجنسية إلى سعادة أسبوعية واستبشيري خيرا واستعيني بالدعاء، والكلمة الطيبة، والتفاؤل، والتصميم على حماية أسرتك الصغيرة والله لا يضع أجر العاملين فكوني من الساعين في إرساء وبناء معاني الحب بمعناه الواسع المتدفق في أسرتك وكوئي واثقة بقدراتك.

6- ما أهم إشكاليات غشاء البكارة يوم الزفاف في العالم العربي؟

تتميز المرأة المسلمة بأنها قرّة عين لزوجها فلا يمسها أحد وتصون فرجها وتحصن نفسها وتمتعها الجنسية قاصرة على ممارستها الزوجية وكذلك الرجل مطالب بتحقيق العفة. إن توعية وتأهيل الزوجين جنسيا خاصة قبل ليلة الزفاف مهمة جدا إذ قد تنزف المرأة في حالات قليلة بشدة بعد الجماع مباشرة أو قد يتأخر نزول دم غشاء البكارة إذا كان الغشاء مطاطيا. وهنا أود أن أشير إلى معلومة هامة ذات صلة مباشرة بعاداتنا في العالم العربي وقد تقع مظالم جسيمة في حال الجهل في التعامل معها وأود أن اقتبس باختصار النص التالي من موقع إسلام أون لاين الذي يقدم استشارات تربوية ونفسية وصحية.

ورد في الموقع "إن غشاء البكارة غشاء رقيق جداً تغذيه بعض الشعيرات الدموية الدقيقة، ويؤدي تمزقه إلى نزول بعض قطرات دم قليلة، ولكن إذا راعينا أن ذلك يكون في إطار العملية الجنسية الكاملة بمراحلها المختلفة من تهئية وإثارة مما يؤدي إلى إفراز كمية كبيرة من الإفرازات المساعدة لدخول العضو واختلطت هذه الإفرازات بقطرات الدم القليلة - كانت النتيجة بقعة من الإفرازات وقد تلونت بلون وردي باهت وليست بقعة دم كبيرة أو حتى صغيرة كما يتوقع البعض... نزول الدم ليس حاسماً لوجود غشاء البكارة من عدمه". "فهناك 15% من الفتيات الطبيعيات لا ينزل منهن دم عند الممارسة، أي إن نزول الدم ليس هو العلامة الوحيدة لعفة الفتاة خاصة في هذا العصر".

ومن الكتب البحثية الهامة التي تحدثت عن الجنس في العالم الإسلامي كتاب (Encyclopedia of Women & Islamic Cultures) الذي أشار إلى نقص الدراسات العلمية في كثير من الجوانب الجنسية عند المسلمين المعاصرين وذلك لأن الثقافة في عمومها مازالت تضيق محاولات التطرق إلى هذا الموضوع (ص 373). ولقد أشارت الموسوعة المذكورة إلى أن المجتمعات الإسلامية لا تعطي قيمة كبيرة لحقيقة بيولوجية هامة وهي ليس كل فتاة بكر سينزل منها الدم بعد عملية الجماع مما يسبب مشاكل كثيرة منها النظر إلى الفتاة [الشريفة] على أنها عاهرة وقد يعيدها الزوج في ليلة الزفاف إلى أهلها (ص 468) وبذلك تفوت وتموت فرص السعادة الزوجية.

وسئلت أخصائية الاستشارات هبة قطب "هل يمكن أن يتأكد الزوج بنفسه من عذرية عروسه في ليلة الزفاف؟ فقالت "لا يستطيع الزوج التأكد بنفسه من عذرية عروسه في ليلة الزفاف، ولا بد لذلك من طبيب أو طبيبة متخصصين للكشف عن ذلك. والحمد لله أنه لا يستطيع، فأبي مهانة هذه يمكن أن تتعرض إليها العروس المقبلة على زوجها بكل نفس منشرحة وحب جارف وإقبال على الحياة، تلك المهانة الموجهة إليها ممن يفترض فيه أن يكون سندها لعمرها القادم كله. تلك المهانة التي يفترض

فيها سوء السلوك وتطعنها في أقدس ما تزدان به الفتاة وهو شرفها وعفتها وعذريتها" (الثقافة الجنسية» الصحيحة... طريق السعادة الزوجية، 2007م، جريدة الراي، 16 مارس، ص 26).

إن ليلة الدخلة تشهد مصائب عظيمة بمجرد غياب قطرات الدم القليلة المنحدرة من غشاء البكارة فيعيش الزوجان في جحيم الشك ونار الريبة إلى الأبد وغالبا بسبب تصور خاطئ، وظن سيئ، واجتهاد باطل ، وحكم مستعجل فنخرب بيوتنا بأيدينا وجهلنا وتسرعنا. غشاء البكارة ليس نوعا واحدا...والطعن في الأخلاق شيمة كريهة وإني أقول وأكرر أن الفتاة يجب أن تصون نفسها والغريب أن الرجل الشرقي قد لا يرحم المسلمة إذ لم يشاهد دم غشاء البكارة وهو جاهل بأنواعها وهو قبل زواجه أو بعده قد كان فاجرا ثم يقيم الدنيا على رأس المرأة المسكينة!!! ومن صور الازدواجية أن الرجل الشرقي عندما يتزوج الأجنبية قد لا يسأل عن (شرفها) وبكارتها!!! إن الله يجب الستر وكم من عفيفة ظلمت بجهالة وطعنت بأعز ما تملك زورا وبهتانا... ومن جهة أخرى كم من فتاة صغيرة عاجزة عانت الويل من زنى المحارم أو التحرش الجنسي فظلمت من بيتين بيت تربت فيه وآخر تزوجت منه فإذا تكلمت عرضت نفسها للخطر وإن صمتت أقرت المنكر!!!